Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انتقالٌ من حجارة الموقد إلى لهيب النار المشتعلة فيه . وهذا الانتقال فرضه وعي معين لدى النقاد حاول أن يتجاوب مع تطلعات نفسية وعقلية لدى القارىء . الرواية دائماً تسعى إلى قارىء . إنها « سلعة » مرتبطة بشكل مباشر بأدوات « التسويق » ورغبة « السوق » . ولا بدّ لها ، بالتالي ، من أن تحرص على التجاوب مع رغبات هذا « السوق » . كان الهاجس في القرن الثامن عشر أن يصل الشعب إلى الحكم . أن تتمكن الجماهير العريضة من السلطة وأن تصبح صاحبة القرار . مع تطور الممارسة السياسية بات الهاجس أدق : كيف لهذه الجماهير أن تحكم ؟ ما هي السبل التي يجب أن تتبعها ، ومن يمكنه تولي مقاليد الحكم ؟ أصبحت الرؤيا أكثر تعقيداً . وكذلك الحال في مجال الفعل الروائي . لا شك أن القارىء في مطالع القرن العشرين ، وحتى في العقود الأولى من القرن ، هو غير القارىء في القرن الثامن عشر . المعارف توسّعت . القدرة على امتلاك الثقافة الإنسانية ازدادت وعمّت . وبات الإنسان في شوق مستمر إلى ما هو « فني » بعد أن تجاوز بقدراته ما هو « أخلاقي » بحت . ولعل الرواية ، انطلاقاً من هذا البعد « الإيديولوجي » ، بدأت تثبت خطواتها على طريق العصر .

وهكذا ، فالفعل الروائي يأخذ مع لورنس بعداً متميزاً لأنه لا يعود مجرد إخبار أدبي أو تصوير فني أو حتى معالجة اجتماعية أو نفسية أو فكرية أو سياسية أو ما شابه ذلك . الرواية ، وفق تفكير لورنس ، تنتقل من الفعل الروائي بمفهومه التقليدي إلى « فعل الوجود » بكليته . الرواية هي صناعة الحياة . ويقول لورنس : « أنا إنسان حي ، وأنا أنوي ، بقدر ما أستطيع ، أن أظل إنساناً حياً ، ولهذا السبب أنا روائي » .

الروائي بهذا المفهوم ، يتجاوز عند لورنس كل القديسين والعلماء والفلاسفة والشعراء . كلٌّ واحدٍ من هؤلاء هو سيِّدٌ على جزءٍ محددٍ ومُعَيَّنٍ من الوجود ، من الإنسان الحي . أمّا الروائي ، فهو الوحيد الذي يسود على كل أجزاء الوجود الإنساني . إنه ، كما يذكر لورنس ، يمتلك الإنسان الحي بكليته[١٦] . والفعل الروائي يتحول إلى مبدأ تقوم عليه علاقة جدلية بين النص